Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

جماعة البساكرة في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر

The group of Biskris in the Algiers City during the eighteenth centry and the beginning of the nineteeth centry

سعدون بخاخ1Saadoun Bekhakh ، سعاد يمينة شبوط2 Souad Yamina Chebout
1جامعة أبو بكر بلقايد تلمسانAbou Bekr Belkaid Tlemcen
saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz
2جامعة أبو بكر بلقايد تلمسانAbou Bekr Belkaid Tlemcen
souadchebout@yahoo.com
المؤلف المرسل: سعدون بخاخ Saadoun Bekhakh
saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2020-07-15 تاريخ القبول : 2020-12-11

ملخص:
يندرج هذا المقال ضمن حقل التاريخ الاجتماعي، حيث نسعى من خلاله إلى تتبع الحياة العامة لجماعة البساكرة كعنصر وافد على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، فقد كانت مكانة المدينة كعاصمة سياسية للبلاد وكقطب اقتصادي على المستويين الداخلي والخارجي، زيادة على كونها فضاء حضريا، كلها عوامل أساسية ساهمت في استقطاب الفئات الاجتماعية من دواخل المدن، وهذا لتوفر فرص الشغل ووجود مرافق عامة مارس من خلالها هؤلاء الوافدون مختلف أنشطتهم، وبما ان الحديث عن كل الفئات يطول بنا في هذا المقال، فإننا سنقتصر الحديث عن جماعة البساكرة كما أشرنا، ونقف على حركيتهم داخل المدينة، وتفاعلهم مع مختلف فئات المجتمع زيادة على رصد أبرز أعمالهم وأنشطتهم.
كلمات مفتاحية: البساكرة، البرانية، المجتمع، مدينة الجزائر، الحياة الاجتماعية.

Abstract :
This article linked to social history and studied the sociological and economic life of the Biskris in the city of Algiers during the ottoman period. This community which chooses the residence in this city from their economic importance among the other community (Mozabites - Kabylies - Djidjlis…). We will try to know from some sources local and foreign the most activities of Biskris in the Algiers city .
Keywords: Biskris; Berranis; society; The city of Algiers; life sociological.

1. مقدمة:

لقد ساهم التاريخ الاجتماعي الذي خرج من رحم مدرسة الحوليات الفرنسية في إثراء حقل الكتابة التاريخية، حيث تنوعت مجالات البحث، وتعددت المناهج والمصادر، وتداخلت مختلف العلوم مع التاريخ في إطار إلغاء القطيعة المعرفية بينها، لتطفو على ساحة التأليف التاريخي مواضيع لطالما غابت تحت هيمنة التاريخ السياسي فقد اتجهت انظار المؤرخين في هذا المضمار إلى البحث في تركيبة البنى الاجتماعية وتتبع المهمشين والمغيبين، وإلى البحث في الثروة والفقر وانعكاساتها على المستوى المعيشي، زيادة على التأريخ للكوارث والأزمات الاجتماعية وآثارها على الأفراد، وما يرتبط بها من ممارسات كإجراءات وقائية وهو ما يعرف كذلك بتاريخ الذهنيات، وغيرها من المواضيع التي يطول ذكرها في هذا المقام.

لا شك أن البحث عن الفئات الاجتماعية، ولا سيما تلك المهمشة أو ما يطلق عليها بفئات الظل كالعبيد والخدم والإماء، وحتى عمال المصانع المضطهدين والخماسين في الأراضي الزراعية، يعد من صلب التاريخ الاجتماعي، فالدراسات ضمن هذا الحقل البحثي ينقب أصحابها فيها عن الإشارات المتناثرة في

مختلف المصادر، للخروج بصورة عامة تعكس واقع هذه الفئات، وحركيتها داخل المجتمع الذي تعيش فيه.

بناء على ما سبق فإننا نسعى في هذا المقال إلى الوقوف على نموذج من الفئات الاجتماعية المهمشة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، فخلال هذه الفترة ازدادت مكانة هذه المدينة كعاصمة سياسية وكعاصمة اقتصادية تمتلك أسواقا داخلية أشاد بها كل من زارها، كما تمتلك ميناء سهل عليها عملية التبادل والشراء على مستوى إقليمي ودولي، وكل هذا قد خلق فرص عمل لمختلف شرائح المجتمع حيث وفد إليها جماعات من سكان المدن الداخلية الذين أطلق عليهم البرانية، حملت كل جماعة تسمية جهتها كالجيجليون، والميزابيون، والأغواطيون والبسكريون موضوع بحثنا في هذا المقال، فما مدى حضور هذه الجماعة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟ وما هو وزنها الديموغرافي؟ وما هي أبرز أنشطتهم؟ وكيف كان مستواهم المعيشي؟

2. البرانية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

شكلت الجماعات والعناصر الوافدة على مدينة الجزائر أحد أهم شرائح التركيبة السكانية فيها ويندرج تواجدها ضمن حركية وديناميكية المجتمع، وكذلك ضمن العلاقة بين المدينة والريف، حيث كان للعامل الاقتصادي دور كبير في وفود هذه الجماعة من جهات مختلفة، فالمتتبع للنشاطات التي مارسها هؤلاء يجدها ذات طابع اقتصادي، فالكثير منهم يشتغل في الأسواق والحمامات والمقاهي، وتتنوع أنشطتهم لتشمل الحرف والخدمات والتجارة.

ورد ذكر الجماعات البرانية في العديد من المصادر الأوروبية المعاصرة للفترة، وفيها يتم تحديد الجهة التي قدموا منها، فنجد الميزابي، والجيجلي، والأغواطي، والبسكري، وغيرها من الجهات، ونفس الأمر مع الوثائق المحلية التي تنسب صاحبها إلى جهته، وبخصوص الانتماء الجغرافي لهاته الجماعات أشارت الأستاذة عائشة غطاس إلى أن تسمية البرانية ارتبطت بالقادمين من القرى والمدن الداخلية البعيدة، أما القادمين من المدن الحضرية المركزية فهم غير مرتبطين بهذه التسمية، الأمر الذي يوضح لنا نظرة الحضري للبدوي[1]، ولم تقتصر هذه النظرة على مدينة الجزائر وحدها ففي مدينة قسنطينة حفظ لنا التراث الشعبي قصيدة حول أوضاع المدينة عام 1802م، حملت في أبياتها النظرة الدونية للفرد الحضري تجاه الوافد البدوي، ومما ورد فيها:

واش تنظـروا فـيـها هلكـت راهي فسدت
مابـقات تسما بـلدة
مـن كـثير العبـد اندخـلت زعـما عمرت
كل جنس جاها يتهدا
انحـشـرت بـرهـوط[2] انعـدت فيـها سكنت
هذا يجي وهـذاك يغدا
بالقبـايل راهي تحشات والشـاوية كـلهم جات[3]

3. الوزن الديموغرافي لجماعة البساكرة[4] في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

في محاولتنا لمعرفة الوزن الديموغرافي لجماعة البساكرة كفئة اجتماعية داخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، تعذر علينا الوقوف على عددها ولو تقريبيا، فبالرغم من وجود مصادر تاريخية سواء كانت مذكرات أسرى، أو كتابات رحالة، إلا أنها ركزت على الأعمال والأنشطة المختلفة المنوطة بهذه الجماعة داخل المدينة دون ذكر أعدادها، كما جاء الكلام عنها أيضا في سياق الحديث عن تركيبة المجتمع، وكثيرا ما كان يتم دمج الجماعات البرانية مع العرب أو المور، الأمر الذي يصعب من معرفة أعداد هؤلاء، فمثلا عند حديث هايدو **Haedo** عن ساكنة مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر قسمهم إلى أربعة أقسام: المور والأتراك

والهود والنصارى وراح يفصل أكثر بالنسبة للمور، حيث ذكر منهم السكان المولودين في المدينة وكذلك القادمين من الجبال، زيادة على العرب القادمين من دواخل المدن[5]، ولا شك أن البسكريين من بينهم.

الأمر نفسه مع الأسير البرتغالي ماسكارنهاس **Mascarenhas** (1621-1626) الذي ذكر هو الآخر خلال فترة أسره في المدينة أن بها حوالي مائة ألف ساكن (100000) تتوزع بين الأتراك والمور والعرب القادمين من المدن الداخلية واليهود والنصارى[6]، وفي القرن الثامن عشر يحدثنا فونتير دو بارادي **Venture De Paradis** عن الجماعات البرانية في مدينة الجزائر، ومن بينهم البسكريون الذين اكتفى بذكر أنشطتهم[7].

إن توزع البسكريين في مختلف شوارع المدينة، وامتهانهم لكثير من المهن والخدمات التي سنأتي على ذكرها دليل على تواجدهم بالمئات، وفي محاولة للأستاذة عائشة غطاس لرصد أعداد الوافدين إلى مدينة الجزائر، استنادا على دفاتر المخلفات في الفترة الزمنية الممتدة بين 1807-1826م، جاء البساكرة في المرتبة الثالثة باثنين وأربعين (42) حالة بعد القبائل بسبع وخمسين (57) حالة، والجيجلية في المرتبة الأولى بأربع وسبعين (74) حالة[8].

من جهة أخرى فالتساؤل عن الوزن الديموغرافي لهذه الجماعة هو تساؤل يشمل العنصر الذكوري والأنثوي، فما مدى حضور النساء البسكريات داخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟

لقد سكتت المصادر الأجنبية التي اطلعنا عليها عن وجود نساء بسكريات داخل المدينة، في حين تعد الوثائق المرتبطة بسجلات المحاكم الشرعية ودفاتر بيت المال أهم مصدر يمكن الولوج إليه للوقوف على حضور النساء من عدمه.

في دراستين أرشيفيتين أعدتهما الأستاذة ليلى خيراني حول المرأة داخل مدينة الجزائر تبين حضور النساء البرانيات والبسكريات من بينهن، لكنه كان حضورا شبه منعدم، ففي الدراسة الأولى التي تمتد زمنيا بين عامي 1800- 1817م، رصدت الأستاذة على ضوء دفاتر المخلفات ثلاثة وأربعون (43) حالة وفاة لنساء وافدات من أصل أربعمائة وواحد وتسعون (491) حالة، لم يكن للبسكريات سوى حالتين (2) تم تسجيلهما عام 1817م[9]، أما في الدراسة الثانية التي تمتد زمنيا بين عامي 1818- 1830م رصدت الأستاذة ستة وثلاثون (36) حالة وفاة لنساء وافدات من أصل تسعمائة وأربعة وثلاثون (934) حالة، لم تسجل الأستاذة فيها ولا حالة واحدة لامرأة بسكرية[10].

إن هذا الغياب للنساء البسكريات قد نجد له مبررا في طبيعة الأشغال الشاقة التي غلبت على الأنشطة التي مارستها هذه الجماعة داخل المدينة، والنسوة لا يستطعن ممارستها، وبالتالي فهجرتهن رفقة أزواجهن لم تكن ضرورية، وأيضا يمكننا أن نؤسس لهذا الكلام انطلاقا مما قاله الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان **Heinrich Von Maltzen** الذي زار مدينة بسكرة حوالي عام 1863م، حيث ذكر أن الشبان البسكريين الذين يعملون في مدينة الجزائر حال جمعهم لمبالغ مالية كافية في نظرهم يرجعون إلى مدينتهم قصد الزواج[11].

زيادة على هذا فقد حفظت لنا سجلات المحاكم الشرعية حالات زواج لبسكريين رجالا دون النساء داخل المدينة، وهذا يعكس لنا جزءا من تفاعلهم وعلاقتهم مع فئات اجتماعية أخرى، فقد تزوج عبد القادر البسكري أمين الفلكاجية امرأة يهودية وردت في العقد تحت مسمى الإسلامية، كما تزوج الحاج سليمان البسكري بمسعودة معتقة إبراهيم شاوش، وكذلك سعيد البسكري كانت زوجته معتقة[12] وتزوجت نفيسة بنت الحاج بوعزيز بن بوعلي البسكري من أخ الحاج مسعود بن بوعلي الجربي[13].

وما تجدر الإشارة إليه أنه غالبا ما ترتبط الهجرة بالظروف الصعبة التي تكون عاملا رئيسيا ودافعا للانتقال قصد تحسين مستوى المعيشة، الأمر الذي يدفعنا للتساؤل حول الأوضاع العامة في بسكرة خلال فترة الدراسة، ومدى ارتباطها بهجرة سكانها نحو المدن الداخلية، وبما أن البحث في هذا الجانب يحتاج الى تفصيل أكثر، فإننا نشير في هذا المقام الى أهمية كتب الرحلة كمصدر مهم لتتبع الحياة العامة في بسكرة ونواحيها، حيث تقدم لنا هاته الرحلات معلومات تاريخية هامة تمس جوانب سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، لاسيما وأن مدينة بسكرة كانت ممن المحطات المهمة التي تستوقف ركب الحج المغربي على وجه الخصوص، فكيف صورت لنا رحلات المغاربة هاته المدينة؟.

من خلال اطلاعنا على عدد من كتب الرحلة وقفنا على أهمية المدينة منذ القرن السابع عشر وتحديدا مع الرحالة أبو سالم العياشي (ت 1090هـ/1679م) أثناء عودته من رحلته الحجية، حيث أقام بها وبضواحيها واعتبرها قاعدة بلاد الزاب لما تتوفر عليه من نخيل وزروع ولحوم ومياه وأسواق، إذ يقول "...**فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا ولا غربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش...**"[14] ، ويتشابه ما ذكره العياشي مع ما ذكره الحضيكي (ت 1189هـ/1775م)، فهذا الأخير أقام أثناء عودته من رحلته الحجية ثلاثة أيام في مدينة بسكرة أين تم استقباله بحفاوة من أهلها وذكر بخصوص المدينة أنها ذات نخيل وأجنة ومزارع وأنها بلدة الصالحين ومأواهم[15]، ونختم كلامنا بما ذكره الرحالة أبو القاسم الزياني (ت 1249هـ/1833م) في رحلته هو الآخر بأن بسكرة من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء[16].

الحقيقة أن هذه النصوص تتشابه فيما تقدمه عن الأهمية الجغرافية والاقتصادية للمدينة، كما تتشابه في سكوتها عن حركية سكان المدينة نحو مدن الشمال، وبالتالي تبقى هذه النصوص نسبية وتواجد أهل بسكرة في مدينة الجزائر كما سنأتي على تفصيله مرتبط بالظروف المادية الصعبة كغيرها من المناطق الداخلية، وهذا على الرغم من أنها كانت تتوفر على مقدرات هامة تساهم في انتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

4. أمناء جماعة البساكرة

كغيرهم ممن الجماعات البرانية انتظم البساكرة تحت مراقبة وتأطير نظام الأمين، حيث يكون هذا الأخير مشرفا على شؤونهم ومصالحهم، وبالتي فهو صاحب نفوذ وكلمة مسموعة، كما أنه هو الواسطة بين أفراد جماعته وبين السلطة، زيادة على استخلاصه خمسين (50) بوجو من كل بسكري يفد جديدا إلى مدينة الجزائر، بالإضافة الى الضرائب التي تتعلق بكراء الحوانيت، مما يجعلنا ندرك أن هناك من جماعة البسكريين تجارا[17]، كما كان الأمين يتلقى ثمانية (8) بوجو عند تعيينه للبسكريين الدلاليين في أسواق المدينة، وأما الإدارة كانت تمنحه قلة ملح من خمسين لترا وقطعة قماش شهريا، وأربع خبزات يوميا، ومن هؤلاء الأمناء الذين أشرفوا على جماعة البساكرة نجد، أحمد البسكري الخالدي بن سليمان 1221هـ/1806م، محمد بن علي الطولقي1229هـ/1814م، الحاج مسعود1246هـ/1830م[18].

وبشهادة القنصل الأمريكي شالر القنصل الأمريكي الذي أقام في الجزائر ما بين سنتي (1816-1824) **William Shaler** فإن البسكريون قوم مسالمون ومن أهدأ العناصر في الإيالة، كما أنهم يتصفون بالثقة الأمر الذي جعل أرباب المنازل يستخدمونهم في المنازل[19]، وهو ما سنشير إليه فيما بعد، ومن هنا يمكننا

استنتاج العلاقة الحسنة بين السلطة وهاته الجماعة داخل المدينة.

5. أنشطة جماعة البساكرة داخل مدينة الجزائر

عرف عن جماعة البساكرة اقتحام ميدان الأشغال الشاقة في مختلف الميادين، وهو ما تواتر عنهم في الكثير من المصادر التي ترصد لنا الحياة اليومية للفئات الاجتماعية داخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث نجدهم حمالين في الأسواق وفي ورشات الميناء، زيادة على التكلف بتنظيف الشوارع والمجاري المائية ونقل المياه الصالحة للشرب بين أزقة المدينة[20].

1.5 العمل في البحرية:

من الميادين التي اشتغل فيها البساكرة نجد ميدان البحرية، ففي بعض الوثائق التي وقفت عليها الاستاذة غطاس نجد تسمية **النوتي**[21] أو **الفلكاجي**[22]، كما هو الحال مع عبد القادر البسكري الذي كان أمينا على الفلكاجية عام 1816م[23]، لقد ورد في إحدى القصص التي رواها الأمريكي جيمس ويلسن ستيفنز **James Wilson Stevens** والتي مفادها محاولة 15 أسيرا الفرار من مرفأ مدينة الجزائر لكن محاولة هؤلاء باءت بالفشل، إذ بمجرد اكتشاف أمرهم، أطلقت سفارة الإنذار وأعطى وكيل الخرج تعليمات الجذافين من بسكرة لكي يلحقوا بالفارين وقد تمكنوا في الأخير من اللحاق بهم[24].

إن ذكر جيمس **James** لهذه القصة وذكره لجماعة البساكرة الجذافين دون شرح أكثر تجعلنا نتساءل بدورنا، هل كان لهم لباس معين يميزهم عن غيرهم، أو هل هناك تقسيمات معينة داخل الميناء بخصوص هؤلاء الجذافين تجعلنا نفرق بينهم[25]، أم أن وجودهم بكثرة جعل منهم فئة بارزة داخل الميناء؟ وفي موضع آخر يروي لنا نفس المصدر قصة مفادها أن الداي أمر جماعة من البساكرة البحارة اللحاق بسفينة تحمل أسرى نابوليتانيين بقيادة طاقم جزائري غادرت الميناء يوم 14 جويلية 1796 حيث أنه نتيجة إصابة أحد الأسرى بالطاعون أراد الداي توقيف السفينة وإنزال المصاب لكيلا ينتشر المرض بين كل الطاقم[26].

2.5 الحمالة:

من الأشغال الشاقة التي مارسها البسكريون نجد الحمالة، حيث مارسوها داخل أسواق المدينة كما مارسوها في مينائها، وبخصوص الأسواق يعد قانون أسواق مدينة الجزائر مصدرا مهما يرصد حركية هاته الأسواق ونشاط العناصر الفاعلة فيها، سواء كانت عناصر منتجة كأصحاب الحرف والمهن، أو كانت عناصر تضطلع بالخدمات على غرار الجماعات البرانية التي كان كثير من أفرادها يتكفلون بالحمالة لذا فإننا نجد في المصدر السالف الذكر ذكرا للحمالين بحسب البضائع التي يحملوها، فهذا حمال الزيت والأخر حمال الحبوب، وذاك حمال الفحم وغيرها[27]، وبما أن شوارع مدينة الجزائر لا تعرف العربات لضيقها ذكر الألماني بفايفر **Pfeiffer** أن جميع الأثقال تحمل على ظهور الأحصنة والحمير، وأنه هناك عدد كبير من البسكريين يشتغلون كحمالين[28].

أما بخصوص اشتغالهم كحمالين في الميناء ذكر الشريف الزهار في إشارة عابرة تعود إلى عام 1199هـ/ 1785م ممارستهم هذا النشاط، وهذا عند حديثه عن الصلح الذي وقع بين الجزائر واسبانيا في البحر، وعن صناديق المال التي أفرغها البساكرة، حيث كانت تلك الأموال هي أموال الأسرة الأوروبيين الذين تم افتداؤهم[29]، وزيادة على مشاق الحمالة والأخطار التي هم عرضة لها في الميناء، لم يسلموا كذلك من الأوبئة التي كانت تعصف بالمدينة عن طرق الميناء، بل كانوا هم الأوائل التي يتعرضون للإصابة، لأنهم كانوا قائمين على إفراغ شحن السفن الوافدة على الميناء، الأمر الذي يؤكده تعرضهم للوباء الذي ضرب المدينة عام 1793[30]، وكذلك في عام 1817 توفي في الخامس من شهر جويلية

5 بساكرة، وفي العاشر من نفس الشهر توفي بسكريين[31].

3.5 تنظيف الشوارع:

يعد تنظيف الشوارع من بين الخدمات التي تكفلت بها هاته الجماعة، فقد ذكر الألماني بفايفر **Pfeiffer** أن عدد البسكريين الذين يكنسون شوارع مدينة الجزائر يتراوح بين 80 و100 بسكري حيث يشرف على نشاطهم تركي يعرف بقايد الزبل[32]، وإذا كان صاحب قانون أسواق مدينة الجزائر لم يذكر تسمية البساكرة عند حديثه عن الأجور التي يحصل عليها عمال النظافة الذين ذكرهم تحت اسم الخلايين، فإننا لا نستبعد وجودهم ضمن هذه الجماعة، حيث كان هؤلاء يأخذون عن تنظيفهم للحفرة الصغيرة ثمانية وستون (68) درهما، وعن الحفرة الكبيرة يأخذون نصف ريال[33].

4.5 حمل المياه:

ارتبط هذا النشاط بالشبكة المائية في مدينة الجزائر، حيث تشتمل هذه الأخيرة على كثير من العيون والسواقي والآبار التي كانت تلبي الحاجيات اليومية لسكان المدينة، وللإشارة فإن هذه الشبكة المائية لقيت اهتماما من الحكام والمسؤولين تمثل في إنشائها وصيانتها وترميمها، زيادة على تخصيص أوقاف لها لذا فكثيرا ما نجد هذه العيون ترتبط بأسماء مؤسسيها، أما من الناحية الإدارية كان يشرف على مراقبة هاته العيون موظف يعرف بخوجة العيون[34]، وبخصوص البساكرة ذكر بفايفر **Pfeiffer** أن هناك مئات منهم يشتغلون كسقائين حيث يقومون بحمل المياه في أواني نحاسية كبيرة ويضعونها أمام أبواب المنازل[35]، لكن كلامه جاء سريعا ولم يخبرنا مثلا بالأجور التي يتلقاها البساكرة على هذه الخدمات، وهل تخضع قيمة هذه الأجور لحجم الماء الذي يتم إيصاله، وكذلك الأمر بالنسبة لخوجة العيون هل كان من جماعة البساكرة؟ أم أن منصبه غير مرتبط بالانتماء لهذه الجماعة؟

4.5 الحراسة الليلية:

يعد الأمن من أهم أساسيات التسيير والإدارة سواء في المدن أو الأرياف، وهذا لمساهمته في حفظ الصالح العام وحماية ممتلكات الأفراد، لقد لفت الجانب الأمني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني انتباه كل من زارها أو أقام بها، فهذا ويليام شالر **William Shaler** يشيد بالأمن الذي تعرفه مدينة الجزائر، إذ تقوم الشرطة بنشاط كثيف لا يسمح بإفلات المجرمين ويفرض عليهم عقوبات[36]، وقد ذكر الطبيب توماس شو **Thomas Show** أن حراسة المدينة تكفل بها جماعة البساكرة، حيث كان يوزعهم أمينهم على شوارع المدينة دون أن يذكر لنا عددهم ولو بالتقريب، وكانوا ينامون أمام الدكاكين، ليذكر لنا شيئا مهما يتمثل في تحمل البسكريين مخلفات السرقة وأنهم مطالبون بتعويض أرباب المحلات، ولا شك أن هذا الأمر راجع لصرامة الإدارة المحلية لتجنب حدوث أي سرقة[37]، أما ويليام شالر **William Shaler** عند وصفه للمدينة وشوارعها يؤكد لنا أن البساكرة أنيطت لهم الحراسة الليلية لشوارع المدينة التي تغلق أبوابها بعد المغرب ولا تفتح إلا لمن اضطر للخروج ليلا، وفي عملهم هذا فإن البساكرة يخضعون لأوامر الشرطة[38]، وقد عثرنا على إحدى وثائق سجلات المحاكم الشرعية التي تؤكد هذا الطرح، حيث احتوت هذا الوثيقة على أمر تنصيب محمد بن الزناقي الزابي أمينا على جماعة العساسين في السوق الكبير ويكون بدوره مسؤولا عن 20 شخصا منتشرين في أزقة المدينة، كما كان مسؤولا عن استخلاص خمسة وعشرون (25) درهما عن كل دكان شهريا، ما عدا العطارين الذين كان يستخلص من عندهم عشرين (20) درهما شهريا[39].

5.5 العمل في المنازل والقصور:

من المظاهر التي تعكس مستوى رفاهية الأسر في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني هي

امتلاكها للخدم داخل بيوتها، سواء كان هؤلاء من بلاد السودان أو كانوا من داخل البلاد، كما هو شأن بعض القبائل والبساكرة الذين سنأتي على ذكرهم، زيادة على هذا كانت بعض الأسر تشترط في صداق بناتها حالة الزواج أن تتوفر لها أمة أو أمتين لخدمتها في بيت زوجها، وقد ذكرت الأستاذة عائشة غطاس نماذج لأسر أرستوقراطية كانت الإماء حاضرة في صداق بناتهن[40]، أما بخصوص البساكرة فحسب شهادة القنصل الأمريكي شالر **Shaler** كانوا يستخدمون في المنازل لتمتعهم بثقة أرباب المنازل[41]، ونفس الأمر يؤكده الأسير الألماني بفايفر **Pfeiffer** بعد أن تم ترقيته من طباخ إلى طبيب للداي أصبح تحت تصرفه بسكريان يقومان بخدمته[42].

يورد لنا الشريف الزهار في معرض حديثه عن مراسيم تأدية الدنوش[43] وما يرتبط بها من تقاليد وأعراف وهذا من لحظة انطلاق البايات من أقاليمهم، إلى غاية الوصول إلى دار السلطان، وبعد أن يأخذ الباي قسطا من الراحة تتم دعوته من قبل البسكري خادم الداي لتناول الفطور معه[44]، وهو نفسه الخادم الذي ورد ذكره في دفتر التشريفات[45].

وإذا كانت هذه أهم الأنشطة التي مارستها جماعة البساكرة داخل مدينة الجزائر، وتواتر ذكرها في الكثير من المصادر، فإن سجلات المحاكم الشرعية، ودفاتر بيت المال تفصح لنا عن أنشطة ومجالات عمل أخرى لهاته الجماعة. ففي إحدى الوثائق نجد محمد بن الحاج محمد البسكري أمين الفكاهين، وهذا دليل على اشتغال أفراد جماعته ببيع الخضر والفواكه[46]، وكذلك سليمان البسكري الحوات[47]، وأحمد البسكري الدلال[48].

6. البسكريون بين الثروة والفقر

كثيرا ما اقترن الحديث عن البساكرة بالفقر والحاجة والحرمان على العموم، وهذا لطبيعة أنشطتهم الممارسة فدولاماي **De La Maye** يذكر عام 1800م بأنهم أناس فقراء يبيتون في العراء[49]، ونفس الشيء يذكره أمين القنصلية الدانو-نرويجية في إحدى رسائله خلال إقامته بالجزائر عام 1817م في قوله " ...**وهناك البسكريون وهم فقراء جدا**...[50].

من خلال استقراء الأستاذة عائشة غطاس لمخلفات الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر لرصد ثرواتهم وقفت على التباين في مستوى الثروات ضمن الجماعة الواحدة، الأمر الذي أرجعته إلى اختلاف طبيعة الأنشطة الممارسة ودورها في المستوى المعيشي، فدخل الموظفين يختلف عن دخل أصحاب الحرف الذي بدوره يختلف عن المشتغلين بالأشغال الشاقة والخدمات، ففي احدى العينات التي تمتد زمنيا بين 1807-1817م تراوحت مخلفات البساكرة بين واحد وعشرين (21) ريال كأدنى حد، واثنى عشر ألف وتسعمائة وأربعة وخمسون (12954) كأقصى حد[51]، وهي ثروة محمد بن الحاج محمد البسكري الذي حاز على المرتبة الثامنة عشر ضمن المرتبة السادسة والعشرين (26) من أثرياء المدينة[52].

من المفارقات التي وقفنا عليها بخصوص الثروة عند هذه الجماعة هي تركة البسكري خادم الحاج عبد اللطيف المتوفى عام 1822م له ثروة تقدر بخمسة آلاف ومائة وخمسة وخمسون (5155) ريالا[53] في حين نجد سليمان الحوات على الرغم من كونه بائع إلا أنه لم يخلف سوى ثلاث (3) ريالات[54] وكذلك البسكري الشرباجي[55] الذي خلف أربعة عشر (14) ريالا[56]، ولا شك أن أمر ثروة الخادم البسكري يلفت الانتباه الى سر هذه الثروة ومكانته عند سيده، وهل هناك نماذج أخرى تشبهه؟ كما أننا نتساءل كذلك عن القيمة الضئيلة لتركة البسكري الشرباجي والبسكري الحوات، فهل هذا راجع إلى محدودية الدخل اليومي؟ أم

راجع إلى تعدد أوجه الإنفاق؟ إذا وضعنا فرضية انفاقهما على أفراد أسرتهما.

7. خاتمة:

في الأخير ومن خلال توظيفنا لمصادر أجنبية ومحلية حاولنا على ضوئها تتبع واقع جماعة البساكرة كجماعة وافدة على مدينة الجزائر، رصدنا أهم أنشطتهم الاجتماعية والاقتصادية، والتي غلب عليها طابع الخدمات والأشغال الشاقة كالسقاية والحمالة والحراسة، الأمر الذي انعكس على مستواهم المعيشي وجعل دخلهم اليومي محدودا، وكما تحدث أبو القاسم سعد الله عن البرانية بأنهم يشكلون بروليتاريا المدن[57]، غير أن المستوى المعيشي لهذه الجماعة متباين من فرد لآخر حسب الممارسة والأنشطة، فأمناء البساكرة نظير مكانتهم ارتفع دخلهم نظير وظيفتهم زيادة على الامتيازات والهدايا التي كانوا يتحصلون عليها، فضلا عن هذا فقد حفظت لنا دفاتر المخلفات وسجلات المحاكم الشرعية أسماء لبسكريين كانوا ميسوري الدخل وعليه يبقى البحث أكثر في واقع هذه الجماعة رهن التنقيب في مختلف المصادر والوثائق، وهو ما نسعى إليه في مقالات أخرى.

8. هوامش

[1] عائشة غطاس: الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2000-2001، ص 20.

[2] الرهط هم القوم أو الجماعة، وقد وردت كلمة الرهط بهذا المعنى في القرآن الكريم في الآية الكريمة * وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ * سورة هود الآية 91.

[3] A. Cour: Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh Bélgacem Er- Rahmouni, revue africaine, volume 60, 1919, p-p 227-229.

[4] يقصد بهم سكان مدينة بسكرة ونواحيها على غرار طولقة، خنقة سيدي ناجي، سيدي عقبة وغيرها من المناطق الذين توافدوا على المدينة لمزاولة أنشطة مختلفة، ووفقا للتنظيم الإداري للبايلك فقد تم انتظامهم داخل جماعة يشرف عليهم أمين يسهر على شؤونهم.

[5] Diego De Haedo: topographie et histoire générale d'Alger, traduit en français par: Monnereau et Berbrugger, 1870, p-p 41-45.

[6] Joao Mascarenhas: esclave à Alger (1621-1626), traduit du portugais, et annoté, présenté par PAUL TESSIER, edition chandeigne, 1993, p 199-200.

[7] Venture de Paradis: Alger au 18 siècle, Imprimerie Adolphe Jordan, Alger, 1896, p 14.

[8] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 102.

[9] ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر 1800-1817، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2006-2007، ص 46.

[10] ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818-1830، دط، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2017، ص 45.

[11] هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج1، طخ، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 81.

[12] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 467.

[13] نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمدينة الجزائر " الفترة العثمانية " 1122هـ/1246هـ - 1710م-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2013-2014، ص 473.

[14]عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2006، ص 540.

[15]محمد بن أحمد الحضيكي: الرحلة الحجازية، تحقيق: عبد العالي لمدبر، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، المغرب، 2011، ص 86.

[16]أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، ط2، دار نشر المعرفة، المغرب، 1991، ص 149.

[17]ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ " العهد العثماني "، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 100.

[18]عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 70.

[19]ويليام شالر: مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي، دط، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982، ص 109.

[20] Venture De Paradis: op, cit, p 14.

[21]النوتي هو مساعد ربان السفينة.

[22]الفلكاجي نسبة الى ما يعرف بالفلوكة وهي السفن أو القوارب الصغيرة، وبهذا يعد الفلكاجي أحد أفراد طاقم الفلوكة.

[23]عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 334.

[24]جيمس ويلسون ستيفنز: الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797، تعريب: علي تابليت، دط، منشورات ثالة، 2007، ص 278.

[25]نفسه، ص 278.

[26]نفسه، ص 304.

[27]عبد الله بن محمد الشويهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص 69.

[28]سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو العيد دودو، دط، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 172.

[29]أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1947، ص 32.

[30] Jean Marchika : Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, thèse pour le doctorat en médecine, université d'Alger, 1927, p 141.

[31] Ibid, p 154.

[32]سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 172.

[33]عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 44.

[34]ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 379-380.

[35]سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 172.

[36]ويليام شالر: المصدر السابق، ص 78.

[37] Thomas Shaw: voyage dans la régence d'Alger, traduit en français par: Mac Carthy, chez Marlin éditeur, Paris, 1830, p 180-181.

[38]ويليام شالر: المصدر السابق، ص 94.

[39]سجلات المحاكم الشرعية: العلبة رقم 58.

[40]عائشة غطاس: الصداق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854، مجلة إنسانيات العدد 4، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 1998، ص - ص 16-29.

[41]ويليام شالر: المصدر السابق، ص 106.

[42]سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 25.

[43]نفسه، ص 43.

[44]الدنوش كلمة تركية تعني العودة او الرجوع، وهو مصطلح إداري ارتبط بالجزائر خلال العهد العثماني يقتضي جمع الضرائب ودفعها، سواء من قبل خليفة الباي لكي يدفعها للباي وهو ما يعرف بالدنوش الصغير، أو دفع الباي الضرائب للباشا كل ثلاث سنوات وهو ما يعرف بالدنوش الكبير، للمزيد أنظر: فارس كعوان: المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر: الباشا- الدنوش- البايلك، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، عدد خاص، أفريل 2019، ص - ص 128-135.

[45]أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 37.

[46] Albert Devoulx: Tachrifat " recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie de gouvernement, 1852, p 26.

[47]عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 333.

[48]دفاتر بيت المال سجل رقم 2، رقم الوثيقة 286

[49] M. Emerit : Alger en 1800, daprés les mémoires inédits De La Maye, revue d'histoire magrébine, N 02, Tunisie, 1994, p 175.

[50] توريبورن أوديغارد: سلم وصداقة دائمان " معاهدة السلم بين مملكة الدانمارك - نرويج وإيالة الجزائر 1746 "، ترجمة: ليندا توشي بن منصور، دط، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2017، ص 63.

[51] عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 358.

[52]نفسه، ص 358.

[53]نفسه، ص 357.

[54]دفاتر بيت المال سجل رقم 2، الوثيقة رقم 63.

[55]الشرباجي هو صانع المشروب المعروف بالشاربات، وهي من المشروبات ذات الأصول التركية

[56]دفاتر بيت المال سجل رقم 2، الوثيقة رقم 215.

[57]أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 156.